دراسات فی العلوم الإنسانية
٢٨(٢)، الصيف ١٤٤٢/١٤٠٠/٢٠٢١، صص٢٧-٤٥
ISSN: 2538-2160
http://aijh.modares.ac.ir
مقالة محكمة
DOR: 20.1001.1.23834269.1442.28.2.1.5

من التاريخ السردي إلى السوسيولوجيا التاريخية: تبيين منهجية مارك بلوخ

وحيد باصري[١]*، محمد حسن‌بيگي[٢]

١. أستاذ مساعد وعضو هيئة المدرّسين بجامعة "فرهنگيان"، فرع المعارف الإسلامية
٢. أستاذ مساعد وعضو هيئة المدرّسين بجامعة أراك، فرع التاريخ

تاريخ الوصول: ١٤٤٢/٣/٣٧ تاريخ القبول: ١٤٤٢/٤/٢٣

الملخّص

كان علم التاريخ على طول القرن التاسع عشر، متأثّراً بالنموذجين «السردي» لفون رانكه، و«الوضعي» لأغوست كنت؛ حيث اتّخذ هذا الأخير من بدء الأمر، سبيله نحو الانفصال عن التاريخ. بدأ ماركس، ووبر، ودوركيم أوّل خُطاهم التقاربية، بطرح تساؤلات على التاريخ، بعد الهبوط من قمّة الوضعية الشاهقة، وكان مارك بلوخ، هو المؤرخ الرائد في هذه المبادرة التقاربية؛ حيث تركت مساعيه هو وآخرون من علماء التاريخ، المنتمون لمدرسةالحوليات، في مستهلّ القرن العشرين، أثراً بارزاً في تكوين معرفة حديثة تدعى السوسيولوجيا التاريخية. لم تتّضح معالم هذه المعرفة الحديثة بعد؛ حيث يشبه تبادل الآراء بين علماء الاجتماع والتاريخ، وفقاً لما قاله برودل، تحاور الصمّ. هذا وقد أدّى تحمّس عدد من المؤرخين في الإقبال على نظريات علم الاجتماع وتوظيفها بنمط خاطئ، إلى انحرافهم عن مبادئ علم التاريخ. والتساؤل الذي يطرح نفسه في هذا المجال هو: ما هي العناصر التي ابتنت عليها منهجية مارك بلوخ في علم التاريخ، وكيف يتمكّن المؤرخون من توظيفها؟ تشير نتائج هذا البحث إلى أنّ العناصر الرئيسة لاتجاه بلوخ عبارة عن: «نقد التاريخ السردي والمتأثّر بالوضعية»، و«الاقتباس الواسع -لكن- المشروط من المعارف الأخرى»، وعرض «التاريخ المقارَن»، حيث بإمكان المؤرخين التمسك بهذه العناصر ومعرفة نماذج من بحوث بلوخ، لعرض التاريخ في سياق أكثر موضوعية وأشدّ صلة بالمبادئ الإنسانية.

الكلمات المفتاحية: مارك بلوخ، المنهجية، علم الاجتماع التاريخي، التاريخ السردي، التاريخ المقارَن.

١. المقدّمة

كان التاريخ على مدى الزمان، مضموناً تافهاً لا يتّصف بالموضوعية، ولا تعتبره الأوساط العلمية في الغرب علماً ولا تولي له قدراً، لعدم اندراجه في التصنيف الأرسطي، إلا أنّه وبعدما حظيت العلوم الطبيعية بالاهتمام، بتطوّرها الهائل وظهور شتّى التقنيات، أثار هذا التقدّم في علماء العلوم الاجتماعية شوقاً للاقتداء بزملائهم في العلوم الطبيعية، والأخذ بمنهجيتها

* الكاتب المسؤول: E-mail: vahid.ba55@yahoo.com

في العلوم الإنسانية، بهدف تطويرها وتحويلها. فأخذوا بالنموذج الوضعي، وتسرّبت الوضعية إلى العلوم الإنسانية (ليتل، ١٣٨٥ش: ٢٠-٣٤). وكان أغوست كنت[1] (١٨٥٧م) أوّل مفكّر وسّع نطاق الوضعية في العلوم الطبيعية، لتغطّي العلوم الإنسانية تحت مسمّى «الفلسفة الوضعية»[2]، وخلق بهذا الصدد، مصطلح «سوسيولوجيا/علم الاجتماع» (أبركرامبي، ١٣٦٧: ٢٩٣). وكان المنهج الذي أخذ به أغوست كنت في هذا العلم، عرض الفلسفة الوضعية، ما يسعى نحوه هو كشف هيكل المجتمع. يقتصر هذا العلم، عند النظر في شتى الظواهر، على تناول وجهها التبيينى، واعتبرت المنهجية الوضعية أهمّ المناهج المعتمدة في علم الاجتماع، حتى بدايات القرن العشرين. وكان علماء التاريخ في هذه الفترة متأثّرين بالمنهجية الوضعية ومنهج المؤرخ الألماني "رانكه"[3]، المتميّز بالتدوين التخصّصي وأحادي الاتجاه والسردي لعلم التاريخ الّذي أظلّ الدراسات التاريخية. ثمّ سلك ثلاث من علماء الاجتماع ذوي الصيت العظيم، أسماءهم كارل ماركس (١٨٨٣م)، وإميل دوركيم (١٩١٧م)، ومكس وبر (١٩٢٠م)، أوّل الخطوات التقاربية بين هاتين المعرفتين، لتكوين معرفة معاصرة تُدعى السوسيولوجيا التاريخية، فبدأوا بطرح تساؤلات على التاريخ، وتركوا أكبر تأثير على علماء الاجتماع والمؤرّخين في القرن العشرين (Collins: 1994: 38-46) حيث اهتمّ "ماركس"[4] بتبيين الماتريالية التاريخية (هيوز، ١٣٨٦ش: ٣٢٦-٣٣٦)، وعرّف "دوركيم"[5] التاريخ، فصيلة من العلوم الاجتماعية التي تمسّ حاجة علم الاجتماع إليه (بهرامي، ١٣٨٦ش: ٣٠) وطرح "وبر"[6] علم الاجتماع كفرع من التاريخ المقارَن الإرشادي (بهرامي، ١٣٨٦ش: ٣٢). واختلف الأمر لدى المؤرّخين؛ حيث كان أهمّ ما اختلفوا مع علماء الاجتماع فيه، النظرية ونمط توظيفها كمنهج، ولا يزال هذا الاختلاف في مدى فائدة النظرية للتاريخ، وكمّية توظيفها في البحوث التاريخية وكيفيتها قائماً، فلم يصلوا إلى لغة مشتركة في هذا المجال بعد، والحديث الدائر بينهم، كما قال برودل، كحديث الصمّ مع بعض (برك، ١٣٨١ش: ٢).

قام المؤرّخ الفرنسي"مارك بلوخ" ليمثّل دور علماء الاجتماع الثلاث، بعرض منهج هادف للباحثين في التاريخ، فبادر بالعمل في هذا المجال، قبل انتشار نطاق تداخل التاريخ في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا والاقتصاد، بأربعين سنة، وبلغ مدى تأثير أعماله؛ بحيث يمكن اعتباره أبا السوسيولوجيا التاريخي الحديث (اسكاتشبول، ١٣٨٨: ٣٧). فأخذ هذا البحث إشكاليته، والنظر في منهجية "مارك بلوخ"[7] في علم التاريخ وتعريفه كنموذج متميّز للمؤرّخين، كما يحاول الإجابة عن التساؤل التالي: ما هي مميّزات منهج "مارك بلوخ" وأسلوبه في علم تدوين التاريخ، وكيف يعين هذا المنهج المؤرّخين، في الأخذ الصحيح بمعارف أخرى ولاسيما بعلم الاجتماع؟ وقد ابنتى البحث على هذه الفرضية: إنّ بلوخ بدأ بالمنهج

1. Auguste Comte
2. positivisme
3. Leopold Von Ranke
4. Karl Heinrich Marx
5. David Emile Durkheim
6 . Maximilian Karl Emil Weber
7. Marc Leopold Benjamin

الوضعي والتاريخ السردي، ثمّ عكف على إبانة التاريخ المقارَن، باعتماد المعارف الأخرى، في نطاق واسع ومحدّد وبأسلوب نقدي، فاقتبس من نظريات علم الاجتماع اقتباساً مرناً، آخذاً في الاعتبار أن لا تقع البحوث التاريخية في فخّ هذه النظريات، فانتهي أسلوبه هذا إلى ظهور تاريخ أشدّ صلة بالعلم والإنسان.

١-١. خلفيات البحث

سنشير في هذا المجال إلى بحوث وكتب، تطرّقت إلى صلة التاريخ بعلم الاجتماع بصفة عامّة. إنّ أشهر ما أُلّف في هذا المجال، كتاب «التاريخ والنظرية الاجتماعية»، لبيتر برك، ترجمه إلى الفارسية غلامرضا جمشيديها، كما قدّم روح‌الله بهرامي كتاب «مدرسة الحوليات؛ شمولية تفكير المؤرّخ»، وحامد فولادوند ومنصوره اتحاديه كتاب «الحوليات في تدوين التاريخ الفرنسي». ونجد في الأعمال الفارسية في هذا المجال إشارات إلى مارك بلوخ، ومن نماذجها مقالة لصالح پرگاري وزملاءه تحت عنوان: «مكتب آنال، جامعيت فكرى مورخ يا دترمينيسم محيطى» (مدرسة الحوليات؛ شمولية تفكير المؤرّخ أو الحتمية البيئية). لا نجد في هذه البحوث ما تناول منهجية بلوخ بالبحث، إلا بحثاً قصيراً، يحمل عنوان: «مارك بلوخ: من فكرة "المجتمعات الحزينة" إلى التأريخ لأزمة التحول وأزمنتها؛ قراءة فى كتاب:«دفاعاً عن التاريخ أو مهنة المؤرخ» تناول فيه المؤرّخ اللبناني؛ وجيه كوثراني، آراء بلوخ بصفته مؤرّخاً، وأغفل عن مساعيه كعالم اجتماع تاريخي. فيمكن القول إنّ الساحة تخلو عن بحث مستقلّ تناول منهجية بلوخ، بمميّزاتها الفريدة وبصفتها نموذجاً يقتدي به المؤرّخون وحتى علماء الاجتماع.

٢. السوسيولوجيا التاريخية

لا شكّ أنه ليس للمؤرّخين الباحثين بنماذج تقليدية أو علماء الاجتماع الكلاسيكي أمثال أغوست كنت، فكرة عن هذا المصطلح؛ إذ يستلزم فهم هذا المصطلح وتبيينه، الاعتقاد بأنّ كلّاً من هاتين المعرفتين بحاجة إلى بعض. إنّ مدلول هذا المصطلح، في أبسط تعاريفه هو أنّ السوسيولوجيا التاريخي فصيلة حديثة العهد ظهرت في نهايات القرن العشرين، ويهتمّ بالنظر في القضايا التاريخية من منظور اجتماعي، مستعيناً في ذلك بالنظريات. ظهرت هذه المعرفة أخيراً، بمساعي تقاربية شارك فيها علماء الاجتماع ومؤرخو "مدرسة الحوليات"[1]، في الثمانينات من القرن العشرين الميلادي، واشتهر بصفتها علماً متداخلاً (برك، ١٣٨١ش: ١٨٠). وقال "اسميث"[2] في تعريفه: «إنّ السوسيولوجيا التاريخية معرفة عقلية ونقدية ومبتكرة، يسعى بصدد العلم بأنظمة تطوّر المجتمعات أو إعادة بناءها» (اسميث، ١٣٨٦ش: ١٣)، وقد عدّ اكاتشبول في عرضه وصفاً مضبوطاً عن الدراسات الاجتماعية التاريخية فعلاً، هذه الخصائص: ١- إنّ غالب علماء الاجتماع التاريخيين يطرحون تساؤلات عن الأنظمة والمعالجة الاجتماعية، المحدودة بصفات زمكانية معيّنة، ٢- إنّهم يبحثون في المعالجة الجارية

1. Annales school
2 . Dennis Smith

على مدى الزمان، ويأخذون السلاسل الزمنية بصفة حديثة في الاعتبار عند التحاليل وتبيين النتائج. ٣- إنّ غالب التحاليل التاريخية تهتمّ بالتأثير المتبادل بين السلوكيات الاجتماعية الهادفة والسياقات التنظيمية، بغرض فهم العواقب المتوخاة والعفوية، في الحياة الشخصية وفي التطوّرات الاجتماعية. ٤- إنّ الدراسات الاجتماعية التاريخية تسلّط الضوء على جوانب معيّنة ومتعددة لصنوف خاصة من الأنظمة الاجتماعية ونماذج التحوّل والتطوّر (اسكاتشبول، ١٣٨٨ش: ٧-٨). تستخلص من التعاريف المذكورة أعلاه، بأنّ السوسيولوجيا التاريخية تعني تقارب التاريخ وعلم الاجتماع، ويتناول موضوعاً خاصّاً في مجتمع ما بالبحث والتنقيب، بغرض الاهتداء إلى أساليب التطوّر في المجتمعات، لتبيين علاقة الأحداث بالأنظمة، من خلال ابتكار نموذج معدّل، حسبما قال برك (برك، ١٣٨١ش: ١٦٣).

١-٢. مكانة النظرية في السوسيولوجيا التاريخية

تقصّى اسكاتشبول ثلاثة اتجاهات رئيسة لربط التاريخ بالأفكار النظرية، قائلاً بـ: «علماء الاجتماع التاريخيين النظريين» الذين يطبّقون نموذجاً عامّاً على نموذج أو نماذج خاصة، لتبيين القضايا التاريخية، و«علماء الاجتماع التاريخيين التحليليين» الذين يسعون وراء كشف القوانين العلّية، و«علماء الاجتماع التاريخيين التفسيريين» الذين يتتبّعون تفاسير ذات معنى وهامة من التاريخ (اسكاتشبول، ١٣٨٨ش: ٤٩٩). طرح "اسميث" هذا التصنيف تحت عناوين: علماء الاجتماع التاريخيون الآخذون بالبحث وبالتعميم وبالنظريات، الذين يستقصون اتجاهات نظرية في أعمالهم (اسميث، ١٣٨٦ش: ٢٥٩).

تُدرِج هذه التصانيف، أنواعاً متنوعة من البحوث في حقل السوسيولوجيا التاريخية؛ إلا أنّها تدلّ جلية على عدم اتّفاق علماء الاجتماع التاريخيون على منهج واحد، خاصة في أسلوب تطبيق النظريات، أو حدوده، وعلى سبيل المثال، يمكن مقارنة بحوث "مان"[1] و"رانسيمان"[2] من علماء الاجتماع التاريخيين، من هذه الناحية؛ حيث يعالج الأول في المجلدين الأول والثاني لكتابه «مصادر القدرة الاجتماعية»، القدرة من البداية حتى عام ١٧٦٠م، ثمّ القدرة في المجتمعات الصناعية. عرض "مان" المجلد الثالث لكتابه، بعد كتابة الفصلين الأول والثاني، تحت عنوان «نظرية في القدرة»، ولكن "رانسيمان"خصّص المجلد الأول والثاني لكتابه؛ «رسالة في النظرية الاجتماعة»، حسب الترتيب، لـ «منهجية النظرية الاجتماعية»، و«النظرية الاجتماعية المبدئية»، ولايطبّق النظرية الاجتماعية المفضّلة لديه، في نموذج تجريبي معيّن؛ أي دولة إنجلترا في القرن العشرين، تطبيقاً تفصيلياً؛ إلا في المجلد الثالث للكتاب (اسميث، ١٣٨٦ش: ٢٠٦). ويتبيّن بمقارنة هذين النموذجين، أنّ منهج "مان" تحليلي تاريخي؛ حيث تستخرج منه النظرية، في حين، يفصّل "رانسيمان" الإطار النظري للبحث أولاً، ثمّ يقارن به نموذجاً تاريخياً، ويحلّله، ليدعم بذلك نظريته، فهو عالم اجتماع منظّر يبحث على أساس

1 . Micheal Mann
2 . Garry Runciman

النظريات، وليس بصدد دراسة منتظمة للتاريخ ولا يهتمّ بالدراسات التى يصحّ إطلاق صفة التاريخية عليها حقّاً.

وهناك نموذج آخر، هو مقارنة "بنديكس"[1] و "آيزنشتايد"[2]. فقد ركّز هذا الأخير على آفاق نظرية، أكثر من الاهتمام بنوع ما من السوسيولوجيا التاريخية؛ حيث اتّخذ موقفاً قويّاً ضدّ النزعة التاريخية، ويدعم إمكان تبيين التطوّرات التاريخية بشكل منتظم نظري، إطلاقاً (اسكاتشبول، ١٣٨٨ش: ١٢٥)؛ إلا أنّ "بنديكس" يحاول أن يلتزم بدلالة التفرّد التاريخي، ولو أخلّ ذلك بالغاية النظرية (م-ن: ١٩٧) فإن ازدرى آيزنشتايد بالنزعة التاريخانية، فقد اعتبر بنديكس السوسيولوجيا ناقصاً؛ حيث قال: «فشل السوسيولوجيا في تقديم إجابات عرفية عن التساؤلات الغائية بخصوص الوجود البشري، أمثال دلالة الحياة أو التاريخ. إنّ اتجاهه عكس ما لدى علماء الاجتماع من معاصريه تماماً» (اسميث، ١٣٨٦ش: ٦٠).

وقد أدرج اسميث واسكاتشبول، صنوفاً متنوعة من المفكّرين ضمن مجموعة علماء الاجتماع التاريخيين، أخذاً بالتسامح. والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا المجال، أنّه كيف ينبغي للباحث في التاريخ، المواجه لعراقيل ومصاعب النموذج التقليدي لعلم التاريخ، أن يهتدي إلى الطريق الصواب ويتجنّب التورّط في الحيرة، عند مواجهة هذه النماذج المتناقضة في الظاهر، وهي في موطنها الرئيس، الذي تكوّنت فيها هذه المعرفة؟لن يكون آيزنشتايد، الذي ينقد النزعة التاريخانية، نموذجاً مناسباً له، كما لن يهديه بنديكس الذي لا يرى حاجة في علم الاجتماع، فيبقى مارك بلوخ؛ من مؤسسي مدرسة الحوليات لعلم التأريخ، أفضل خيار، يمكن اعتباره نقطة الانفصال من اتجاه ونموذج علم التأريخ التقليدي، والسير إلى تناول التأريخ بمناهج أكثر علمياً.

٣. مدرسة الحوليات

ابتنى علم التأريخ في أقصى أوربا في القرن التاسع عشر، على دراسة المستندات السياسية البحتة دراسة متصلّبة وصارمة، إلى جانب الأخذ بمنهج الوضعيين التعليلي (Munslow, 2006: 31)، فكانت الصرامة الصفة الرئيسة التي تسود منهج المؤرّخ الآلماني؛ "رانكه" (هيوز، ١٣٨٦ش: ٣٩١).قد يعتبر القارئ هذه الصفة إهانة؛ إلا أنّها اليوم تعنى الخوض في البحث، بلا خلفيات ذهنية عن الموضوع، وبعيداً عن دوافع الإثارة، والالتزام بالحقيقة. هذا وقد اعتبرت الصفة في مستهلّ القرن العشرين، ميزة لتدوين التأريخ بأسلوب أحادي الاتجاه، يغفل الدلالات الخارجية ويركّز على التأريخ السياسي (Bentley, 2005: 104). ولكن سلطة المنهجية المهيمنة على أسلوب التأريخ المنطبع بتراث رانكه وكنت، أدّت إلى إثارة الآراء النقدية وردود فعل فئة من المؤرخين الشبّان غير التقليديين الفرنسيين.حيث بدأت جهودهم النقدية في بدايات القرن العشرين، وأفضت في نهاياته إلى اعتبار مصطلح «الرانكي» صفة للتأريخ بأسلوب قديم مملّ (هيوز، ١٣٨٦ش: ٤٠٠).أسس هؤلاء المؤرّخون الشبان الناقدون الفرنسيون منهجاً جديداً في تدوين التاريخ، بالعطف عن التأريخ السياسي

1 . Reinhard Benedix
2 . S.N. Eisenstadt

إلى التأريخ الاجتماعي؛ حيث سمّي فيما بعد، بمدرسة الحوليات، وازدادت أهمية وصيتاً، بتكوين السوسيولوجيا التاريخية.

ويمكن القول إنّ تكوين هذه المدرسة التاريخية العصرية رهين بجهود بثلاث مؤرّخين المتحرّرين الناقدين الزملاء؛ هانرى بر[1]، لوسين فور[2] ومارك بلوخ (Aymard, 1999: 6). اقتبست المدرسة اسمها من عنوان مجلة "حوليات التأريخ الاجتماعي والاقتصادي"[3]، نشر أوّل رقمها عام ١٩٢٩ م. كما نشرت فيها مقالات في نقد التأريخ المنطبع بالوضعية، واتخذها أتباع مدرسة الحوليات ساحة لنشر آراءهم (فولادوند، ١٣٦٥ش: ٢). وقد ابتنت فكرة مؤسسي المدرسة ومنهجيتهم التي تظهر في مقالاتهم، على نقد أفكار أنصار التأريخ السردي المتأثّر الوضعية والتأريخ السياسي والنزعة التخصصية المتطرّفة، والالتزام بالصلة المتبادلة بين المنهج والنظرية، وتعديلهما المستمرّ في عملية البحث، والالتزام بالموضوعية في البحوث التاريخية، والاهتمام بالتواصل مع بالحقول الاقتصادية والاجتماعية (پيران، ١٣٧٢ش: ٢٦). وقد تعاون على نشر المجلة أربع: مؤرّخ، وعالم اقتصاد، وعالم اجتماع، وعالم جغرافيا؛ وجّهوا مساعيهم نحو اختراق حصار التاريخ السياسي الذي ضيّق النطاق على علم التاريخ. وكانت الفكرة الأساسية التي تجمعهم إلى بعض أو بالأحرى بيان المدرسة، أنّ التاريخ لا يقتصر على الوثائق ولاسيّما السياسية منها، كما وضعوا على جدول أعمالهم، التعاون القريب مع أصحاب الفكر من مختلف العلوم، كالأدب والجغرافيا وعلم الاجتماع والاقتصاد وعلم اللغة وعلم الآثار. وقد استمرّ نشر هذه المجلة بدءاً بعام ١٩٩٤م حتى الآن، تحت عنوان حوليات التاريخ والعلوم الاجتماعية، بعد إعادة تسميتها مرّات.

٤. مارك بلوخ (١٩٤٤-١٨٦٦م)

لم يكفّ علماء الاجتماع التاريخيون ولا أنصار التاريخ عند استقصاء جذور السوسيولوجيا التاريخي، عن اعتبار دور مباشر لمارك بلوخ، في هذا الفرع من المعرفة، أو ينزعون إلى اعتباره أبا السوسيولوجيا التاريخي. كما يراه دنيل تشيرو[4] من آباء السوسيولوجيا التاريخة الحديث (اسكاتشپول، ١٣٨٨: ٣٨؛ اسميث، ١٣٨٦: ٧٣)؛ إلا أنّ بلوخ قد اشتهر بين غالب المؤرخين كأحد مفكّري ومؤسّسي مدرسة خاصة في علم التأريخ، ولا كعالم اجتماع ولا عالم اجتماع تاريخي.

ولد مارك من سارا وغوستاو بلوخ، في فرانسا، ودرس في ثانوية "لوئي‌لوغراند"[5] ومعهد "نرمال سوبريواور"[6] في باريس. وتعرّف هناك على منازعات المؤرّخين الفرنسيين والبلجيكيين المثيرة، حول ماهيوية التاريخ؛ منازعات بين المتأثّرين بالتأريخ ذي النزعة الأحادية الاتجاه الألماني، والنازعين إلى تأريخ أشمل يتألّف من عناصر اجتماعية وثقافية وجغرافية واقتصادية، ولا ينحصر في عناصر سياسية فحسب. إنّه اعتبر نفسه من "الجيل الأخير من قضية دريفوس" (Block, 1944: 158

1. Henri Berr
2. Lucien Febvre
3. Annals of economic and social history
4. Daniel Chirot
5. Louis-Le-Grand
6. EcoleNormaleSuperieure

هيوز، ١٣٨٦ش: ٣٤)، وقد أطلعته قضية النقيب ألفريد دريفوس المتهم بأنه أرسل ملفات فرنسية سرية إلى ألمانيا، على دور الإشاعات والمعلومات الكاذبة، وجعلته يفكّر بعمق. غادر بلوخ إلى برلين، بعدما فشل في نيل مرتبة الدكتوراه في باريس، وتمكّن هناك من نيل هذه المرتبة، ثمّ اشتغل بالتدريس في ثانوية "مونت بليه"[1]، ثمّ في "أمين"[2]، وألقى هناك خطابه الشهير حول ضرورة امتلاك النزعة النقدية (هيوز، ١٣٨٦ش: ٣٦)، ولم يمض طويلاً على خطابه هذا، حتى أعلنت ألمانيا الحرب ضدّ فرنسا وهجمت على بلجيك. والتحق بالخدمة العسكرية في الحرب العالمية الأولى والثانية، كضابط في الجيش الفرنسي، وأصيب لمرّتين ونال وسام الشرف لأربع مرّات، ولم يكفّ عن نقد الظروف السائدة على قيادة المجتمع الذي ينتمي إليه. والتحق بحركة المقاومة الفرنسية التي حاربت ضد الاحتلال الألماني لفرنسا، واعتقل عام ١٩٤٤م وأعدم في العام نفسه رمياً بالرصاص، ليلة ١٦ من يونيو، في مسقط رأسه؛ (ليون Dosse, 1994: 44، اسميث: ١٣٨٦: ٢٣).

ترك بلوخ عدداً من الأعمال العلمية، أشهرها «النحاس الملكي»، قد تطرّق فيه إلى دراسة النحاس الساحر والقدرة الشافية لدى الملوك الفرنسيين والإنجليزيين خلال حوالي القرن الحادي عشر حتى القرن الثامن عشر. أما أفخر أعماله، فهو «تاريخ فرنسا القروي»[3]، تناول فيه ماهية ومراحل انهزام النظام الإقطاعي في منطقة "إيل-دي-فرنس"[4]ودرس علاقة الإنسان بالأرض، التي تسبّب في تنوّع الحياة القروية (Raftise, 1999: 63). ولكن أوسع وأشهر أعمال بلوخ، كتابه «المجتمع الإقطاعي». يعتبر هذا الكتاب، وصفاً بارعاً للنظام الاجتماعي السائد على مجتمع الأوربا الغربي والمركزي، خلال القرن التاسع حتى الثالثعشر للميلاد (اسميث، ١٣٨٦: ٢٣). كتب بلوخ كتابيه الأخيرين؛ «الفشل الغريب»[5] و«مهنة المؤرّخ»[6] خلال الحرب العالمية الثانية. يدور موضوع الكتاب الأول حول الحرب العالمية وأسباب هزيمة الفرنسيين فيها. لم ينظر بلوخ في كتابه هذا، في الموضوع بصفته ضابطاً محنّكاً؛ بل بدوره مؤرّخاً، فأشار إلى ما أبانت له رؤيته الاجتماعية إلى أسباب هزيمة الدولة الفرنسية في بلجيك بذكاء (Bloch, 1946: 37-51). ويعتبر كتابه الأخير، بيان مدرسة الحوليات فعلاً، ويدور حول المنهجية التاريخية. إنّه كتب هذا الكتاب، ردّاً على سؤال ولده الذي سأله قائلاً: ما هي فائدة التاريخ؟ (هيوز: ١٣٨٦ش، ٤٠)، ولكن الموت لم يسمح له باستكماله.

تبتني منهجية مارك بلوخ على خمسة عناصر أساسية، سنتطرّق إليها لاحقاً.

١-٤. جرأة النقد

جعلت قضية دريفوس ومنازعات المؤرّخين حول فهم التاريخ من جهة، والمنافسة الفرنسية الألمانية من جهة أخرى، بلوخ بصفته مفكّراً وطنياً، يهتمّ بأداء دوره ومهمّته في الإعلان وتعديل أفكار المجتمع الذي عاش فيه، واستعان لفهم

1. Montpellier
2. Amiens
3. French Rural History
4. Ile- de- France
5. Strange Defeat
6. The Historian's Craft

التاريخ بدلالات خارج حقل التاريخ، وتأثّر بمجموعة متنوعة كبيرة من المفكّرين وأصحاب الرأي، وتعلّم منهم في صياغة إطاره الفكري ومنهجيته، وكان النقد صفة منهجه التي لا تتجزّأ عن بحوثه، وقد أكّد في خطاب ألقاه في احتفال التخرّج من الجامعة، على أهميّة اتصاف الباحث بصفة النقد وضرورة التحكيم الصحيح، قائلاً: «يتعرّض المؤرّخ، عكس العالم، لضعف الذاكرة البشرية، من ناحتين، فيبتني الجزء الأعظم من عمله على ركيزتين هما: معرفة الحقيقة، والكذب والاحتمال، ولا يمكنه التجنّب عن التحكيم. فإذا أخبرك جارك الأيمن بأنّ إثنين ضرب إثنين يساوي أربعاً، وقال جارك الأيسر إنّه يساوي خمساً، فلا تستنج أنّه يساوي الأربع والنصف (هيوز، ١٣٨٦: ٣٦). فلام الباحثين الذين يقدّمون تحاليل عابرة مماثلة لقول الشيوخ، والمفتقدة لرؤية ناقدة جريئة. بدأ بلوخ عمله النقدي، بنقد التأريخ الحديث المتأثّر بالوضعية وبالتأريخ الأحادي البعد عند رانكة، فاعترف بصدق، أنّ هناك مئات من التعليقات الّتي تفسّر الأحداث الماضية، وأكّد في الوقت نفسه، على إمكان تخليص التاريخ من الظروف التي تتسبّب بعدم الثقة به، والأخذ بمناهج علمية في تدوين التاريخ (هيوز، ١٣٨٦ش: ٣٥).

يقول بلوخ في نقد التاريخ التقليدي والسردي: قد وضع النزعة الباطنية وغموض المستندات، نصوصاً مملّة في متناول الأيدي... ليجعل هواة المطالعة الضعفاء ينقادون لتاريخ مزيّف زائف، يلمع كاذباً؛ تاريخ أرادوه حيث يُعوَّض عن أباطيله الأنيقة والعصبيات السياسية التي يتميّز بها، بثقة نفس وقحة (اسكاتشبول، ١٣٨٨ش: ٥٧). تحدّى بلوخ المؤرخين وعلماء الاجتماع من ذوي الرؤى السطحية، بطرح تساؤلات على الشواهد والمستندات، ووجّه نقداً عنيفاً ضدّ ما دعاه «تقديس الوثائق التاريخية»[1]، واعتقد بضرورة تجنّب المؤرخ عن التركيز المبالغ فيه على المستندات التاريخية (Vaught, 2011: 2). واعتبر هو والمفكّرون المنتمون إلى مدرسة الحوليات، الرواية التاريخية، في المرتبة الثانية من الوثوق والصحة (اسميث، ١٣٨٦: ٧٤؛Katz, 1987: 439). كتب تشيرو في هذا المجال: «إنّ منهج المؤرخين الكلاسيكيين وعلماء الاجتماع العاديون في عصر بلوخ وعصرنا أيضاً، تدوين التاريخ على بنية الشواهد والمستندات المتناولة بين الأيدي؛ ولكن بلوخ قلّب هذا النظام ومثّل دوراً حاسماً في توسيع نطاق المستندات الموثوقة بها» (اسكاتشبول، ١٣٨٨ش: ٥٢). وقد سجّل اسمه بصفة مبدع البحوث والدراسات التاريخية المعكوسة من الحال إلى الماضي، خلال أحد أعماله "تاريخ فرنسا القروي" الذي تجنّب فيه عن كتابة التاريخ بمنهج سردي (هيوز، ١٣٨٦ش: ٣٩ ؛ اسكاتشبول، ١٣٨٨ش: ٤٩).جعلت ثقة بلوخ بمنهجيته أن يوصي المؤرخين من الطراز الثاني، بغرور، أن يكفّوا عن التدوين العقيم للمعلومات التاريخية، بل يدرسوا التاريخ في نطاق واسع، متجنبين عن التركيز على المستندات القديمة، بطرحها للنقد والدراسة، ليضعوا حصيلة عملهم بين يدي المؤرخين من الطراز الأول (اسكاتشبول، ١٣٨٨ش: ٥٢). ومن الطريف أنّ هذه وصية بعض علماء الاجتماع للمؤرخين.

دافع بلوخ من اتجاهه النقدي قائلاً: «مثير للخزي أن حُذِف الآن المنهج النقدي من البرامج الأكاديمية، ونعيش في

1. Idol of the origins

فترة، تشيع فيها الأكاذيب والإشاعات، إلا أنّه وبعد الآن، سيضيف التاريخ إلى أبرز امتيازاته، أنهسيكون رائداً في سبيل البشر الحديث، نحو الحقيقةُ ومن ثمّ العدالة، من خلال توسيع نطاق عمله النقدي» (Bloch, 1946: 136).

بدأ بلوخ نقد التأريخ التبييني والمتأثر بالوضعية، بنقد منهجية كنت وماركس ودوركيم؛ حيث قال عن كارل ماكس: «إنّني أصرّح بإعجابي وإشادتي البالغة بأعمال كارس ماركس، أخاف إن قلت أنّه كان مزعجاً للغاية، وفلسفته أقلّ صلة بالأصالة والابتكار، مما يظنّون؛ إلا أنّه لا يوجد محلّل أقوى منه في مجال القضايا الاجتماعية، ولكن هل ينبغي أن يجعلنا ذلك أن نعتبر تعاليمه معياراً للمعرفة كلّها؟ (اسكاتشبول، ١٣٨٨: ٤٢).كذلك، يبيّن بلوخ كيف سحر اتجاه إغوست كنت، المؤرّخين، وشتّت صفوفهم، وخيّب ظنّهم بتحويل التأريخ إلى علم. هذا، ويصرّح بلوخ، رغم توقيره لعلماء الاجتماع، أنّ فترة تلك المدرسة قد ولّت، وأنّها قد فقدت خصوبتها وإبداعها، وصارت عقيمة (م-ن: ٥٨)

وقد خلق بلوخ اتجاهه الفكري هذا، على بنية رؤية "هانري بر"، وهو من المؤرخين المؤثّرين عليه، والقائل بـ: «إننّا نرى أنّ السوسيولوجيا ينبغي أن يتناول ما يحظى في حقل التاريخ بماهية اجتماعية، ونظنّ أنّ ما يميّز دوركيم وأنصاره تمييزاً أساسياً، أنّهم طبّقوا منهجية مضبوطة وتجريبية ومقارنة عند النظر في الحقائق التاريخية، ولكن أهذا الفرع كلّ التاريخ؟ إنّنا نرى الإجابة سالبة؛ إذ يجب أن ينتهي علم الاجتماع إلى علم النفس الاجتماعي» (اسميث، ١٣٨٨: ٧٦).

يُقرّ اسكاتشبول أنّ الجزء الأكبر من النقد الغاضب الموجّه نحو بلوخ، عائد إلى المؤرخين الكلاسيكيين، المتميّز عملهم بالتصلّب وعدم المرونة، وعلماء الاجتماع الذين يستفيدون أو قل يستغلّون حصيلة عمل هذا المؤرّخ المحلّل المتحرّر وزملائه، للتعميم، ثمّ يدافع عنه قائلاً: «إنّ هؤلاء (المؤرخين الكلاسيكيين) مهّدوا السبل للمعمّمين التاريخيين الزائفين والمزوّرين (مجموعة من علماء الاجتماع)، الذين تمّ استغلال ازدهارهم الصوري لأغراض سياسية خطيرة» (اسكاتشبول، ١٣٨٨ش: ٥٧).

٢-٤. الاستمداد الواسع من المعارف غير التاريخية

قد أقرّ بلوخ، قائلاً: «إنّ التاريخ لايزال يعاني من الإثارة التالية لنوع ما من عملية حفر ناقصة» (م-ن: ٣٨). وبالأحرى، فإنّ التاريخ الموثوق به، لن يحصل؛ بل ينبغي أن لا نكفّ عن التعلّم. إنّه طرق دلالات خارج حقل التاريخ، ليستكمل عملية الحفر الناقص، فضلاً عن نقد التأريخ الذي عاصره، فكتب أوّل أعماله؛ "تاريخ فرانسا القرويّ في منطقة إيل‌دوفرنس»، متأثّراً بعالم جغرافي فرنسي، اسمه "دلابلاشه"[1]، والذي أسّس مجلة الحوليات الجغرافية، واختار الجغرافيا التاريخي عنواناً لرسالته الجامعية، فتعلّم منه الأرضية والخلفيّات الذهنية وأصناف الحياة والحضارة (اسميث، ١٣٨٦ش: ٧٤)، واستكشف عبر التتلمذ عليه، أهمية المستندات والشواهد المقتبسة من علوم أخرى، كعلم البيئة والعمارة وعلم الآثار وأنثروبولوجيا، في إدراك أنظمة تطوّر المجتمعات ومن ثمّ فهم الحقيقة التاريخية (Bentley, 2005: 106). اعتمد بلوخ

1. Vidal de la Blache

في كتابه "المجتمع الإقطاعي" بصفته أشدّ أعماله صلة بالمنهجية التقليدية، على الأدب في نطاق واسع محيّر، كما اقتبس من المستندات القانونية، والأشعار والجرائد والقصص الحماسية، بشكل واسع، لتصوير الحياة الأوربية الاجتماعية في القرون الوسطى (اسميث، ١٣٨٦ش: ٧٨)، وبحث في كتابه "النحاس الملكي" وبعنوان آخر: «تظاهر الملوك بالإعجاز"، أسباب زوال عقيدة الشعبين الإنجليزي والفرنسي، بقدرة ملوكهم على شفاء المرضى، معتمداً في ذلك على معلومات طبّية ونفسية وأيقونية، وأنثروبولوجية، واستنتج أنّ دعاوي هؤلاء الملوك قد امتزجت بالعقيدة المسيحية القائلة بالحاكم المقدّس، وأدّت بالمآل إلى تظاهر الملوك بالإعجاز (هيوز، ١٣٨٦: ٣٨-٣٧).

تأثّر بلوخ، في خلق منهجيته، باللغوي الفرنسي؛ أنتوان ميلت[1]، وكتابه "المنهجية المقارنة في علم اللغة التاريخي"؛ حيث قال بمنهجين مختلفتين في الأعمال المقارنة، يتأصّلان في القوانين العالمية والمعلومات التاريخية (Hill, 1980: 820). فبادر بلوخ بتفصيل هذين المنهجين ونقدهما، ثمّ اختار الثاني. خضع بلوخ بتواضع، للتعلّم والاعتماد واسع النطاق والمشروط في الوقت نفسه، على العلوم والمعارف الأخرى، فضلاً عن جرأته في النقد التي يراها وظيفة المؤرّخ.

٣-. ٤ التاريخ المقارن[2]

يعتبر عرض التاريخ في سياق مقارن، من أهمّ مميّزات منهجية بلوخ. كان بلوخ من أهمّ الناشطين في حقل التأريخ المقارن في مستهلّ القرن العشرين، ويرى نفسه أستاذاً في هذا الحقل (Raftis, 1999: 67)، ولايزال يعتبر الرائد في هذا المجال. تحوّلت أعمال بلوخ وخاصة مقالته الشهيرة «التاريخ المقارن للمجتمعات الأوربية» إلى نقطة انطلاق لهذا الحقل. اعتقد بلوخ أنّ التاريخ لا يُدرك؛ إلا إذا أوجد صلات واضحة بين العلل، وأنّ المنهج المقارَن هو فعلاً أداة وأسلوب واضح لمواجهة القضية (Sewell, 1967: 208). وإنّ التاريخ المقارن، حسب آراء بلوخ، يتيح للاعتماد الواسع على مستندات من معارف أخرى، كعلم الاجتماع والأدب وعلم اللغة والفلسفة وعلم الزرع (Lyon, 1987:200). عرّف بلوخ المنهجية المقارنة المعتمدة في علم الاجتماع، بدلاً مناسباً للمنهجية الوضعية، وأكّدها، واعتقد أنّ المناهج التجريبية يستحيل الأخذ بها في العلوم الاجتماعية، كما تُعتمد في العلوم الطبيعية والتجريبية، ولكن المنهجية المقارنة يمكن توظيفها كأداة لجمع المستندات بطريقة منهجية، لاختبار صحة التحاليل والتعاليق. اعتمد بلوخ على المنهجية المقارنة لاختبار الفرضيات دوماً، ما اعتبر خطوة كبيرة لتحقيق منهجية علمية في الدراسات والبحوث التاريخية.

وقد شرح بلوخ، على سبيل المثال، منهجين تعلمهما من "ميلت" كما يلي (Hill, 1980: 820):

المنهج١. مقارنة عالمية: يختار فيه الباحث مجتمعات مستقلة عن بعض من الناحية الزمكانية، فلن يتمكّن من تبيين الأمر، مهما كان المنهج؛ لأنّها لا تتبادل تأثيرات فيما بينها ولا تجمعها أواصر مشتركة.

1. Antoine Meillet
2. Comparative History

المنهج ٢. المقارنة التاريخية: يبادر الباحث بدراسة مجتمعات معاصرة ومتجاورة؛ حيث يؤدّي هذا الجوار بها، أن تشترك في عناصر متعددة، وتتبادل تأثيرات فيما بينها، وإنّ كيانها رهين بوحدة أصولها على الحدّ الأدنى، فيمكن دراستها.

اختار بلوخ المنهج الثاني، وفضّل بصفته مؤرّخاً، أن يقارن بين شتّى المجتمعات الأوروبية التي تشترك في العصر والمنطقة الجغرافية والأصول، ما يبيّن منهجيته فيما يتعلّق بنطاق المقارنة في الدراسات التاريخية. إنّه أولى اهتماماً كبيراً بعناصر الجوار والتقارب الجغرافي والاقتصادي والثقافي، واستنتج ضرورة التخلّص من المعالم الطوبوغرافية المهجورة التي يُتظاهر فيها بوضع الحدود للحقائق الاجتماعية (م–ن، ٢١١).

اعتبر بلوخ وحدة الزمان والمكان، في المنهجية المقارنة، مما يثير المشاكل، كما رأى وحدة الموضوع البؤرة المركزية للدراسات التاريخية في المجتمعات (اسكاتشبول، ١٣٨٦: ٥٢٦).

لم يحدّد بلوخ بحوثه في حقل تاريخ القرون الوسطى في فرنسا، بالتاريخ الفرنسي فحسب؛ بل وسّع نطاق عمله إلى مناطق أخرى، كفنلاندا والنرويج وويلز، وحتى اليابان، وبحث هناك في المستندات المشتركة (Loyn, 1999: 165). وكان منهجية بلوخ لكشف الحقيقة، طرح الأسئلة ونقد الرواية التاريخية، والتوكيد على العناصر التي تميّز القضية المعنية بالبحث، إلى جانب بحث واسع النطاق في مستندات مستمدة من معارف أخرى، تحت نظام التبيين العلّي للقضايا، وما يميّز منهجيته في التأريخ المقارن اثنان وهما «وحدة الموضوع» و«اعتبار الرواية في المرتبة الثانية من الصحة»، وقد لقيت منهجيته اهتماماً كبيراً، كما يقول اسكاتشبول، من علماء الاجتماع التاريخيين التحليليين أمثاله (اسكاتشبول: ١٣٨٦ش: ٥٢٦).

٤–٤. الاقتباس المشروط من علم الاجتماع

كان بلوخ رائداً في التقارب مع علم الاجتماع من الناحية العملية، وفي التأثير عليه، وقد قرّبته من كبار علماء الاجتماع، جهوده المتواصلة لكشف تطوّرات المجتمعات من خلال القيام بدراسات تاريخية معتمدة على المنهجية المقارنة، إلا أنّ تلقّيه من السوسيولوجيا ظلّ نقدياً، كما كان في المعارف الأخرى. وكان أكثر مَن تضاهيه رؤية بلوخ المعرفية في السوسيولوجيا، هو مكس وبر؛ حيث يهتمّان كلاهما بالهوية الوطنية وحبّ الوطن، وأصيبا بخيبة أمل لفقدان القيادة الاجتماعية والسياسية لشعبهما، كما استخدما تركيباً متنوعاً من المقارنة، والتبيين العلّي للقضايا، ومكاشفتها ومعاينتها الحاذقة، وهناك دلالات أخرى على تماثلهما، كهواياتهما المشتركة في التأريخ الزراعي وتأثيرهما المتبادل من ناحية الأنظمة المادية والآراء الدينية (اسميث، ١٣٨٦ش: ٧٤).

تناول بلوخ في مذكّراته الأولية مقارنة التاريخ بالعلم[1]، وحاول أن يجد مكانة مستقلّة عن العوم التجريبية للتاريخ. إنّه بصفته مؤرّخاً، ناقش علم الاجتماع في نطاق واسع، وبيّن كيف سحرت آراء إغوست كنت في مجال العلوم الطبيعية،

1. Science

العلماء المتحرّرين فكرياً، وشعّبهم إلى شعبيتين عديمتي الأهلية (اسكاتشبول، ١٣٨٨ش: ٥٨). ورغم هذا كلّه، فإنّ بلوخ تأثّر في بدء الأمر بزميله الفرنسي؛ دوركيم؛ حيث يظهر هذا التأثير جلياً في أعماله الأولى ، كما قال أنّ دوركيم علّمنا التحليل بعمق (Aymard, 1999: 6). وقال في موقف آخر: «إنّ المؤرّخين من أبناء جيلي، مدينون بحوليات السوسيولوجيا القديم كثيراً؛ حيث يكلّ لسانهم عن وصفه (Rhodes, 1999: 10). يعتبر دوركيم الدولة الديمقراطية المبتنية على المواطنة الناشطة والوحدة المهنية القوية، أساساً يتيسر من خلالها تحقيق النظم الاجتماعية، كما يرى بلوخ الانتظار لظهور قائد كريزماتي فاشلاً، ويؤكّد على دور الطبقة المتوسطة الحرفية والمتخصصة (اسميت، ١٣٨٦ش: ٧٥). يشرح بلوخ في كتابه "النحاس الملكي"، قضية قدرة الملوك الإنجليزيين والفرنسيين الشافية، وإيمان الشعب بها، على أساس مدلول «الضمير الجمعي»، ويصرّح بأنّه يجب النظر في «الوعي الجمعي» لدى شعب ما، لاستكشاف علل اعتبار الإشاعات لديهم (هيوز، ١٣٨٦ش: ٣٨؛ اسكاتشبول، ١٣٨٨ش: ٦٠). وعلى الرغم من هذا كلّه، لم يكن بلوخ يتبع نظريات دوركيم كلّها؛ بل يشيد به وبعلم الاجتماع إشادة مضبوطة ومدروسة (اسميث، ١٣٨٦: ٧٥).

٥-٤. النظرية المنفتحة والمرنة

يعتبر منهج بلوخ في مواجهة النظريات، هو المميزة الأخيرة من منهجيته، وقال في أول أعماله الهامّة «تاريخ فرنسا القروي»، ولعلّه كان في كتابته متحمّساً بتعرّفه على علم الاجتماع والابتعاد عن التأريخ التقليدي، قال: «ينبغي أن يسمح المؤرّخون بأن تدلّهم ملاحظات نظرية هامّة، في بحوثهم» (اسكاتشبول: ١٣٨٨ش، ٦١)؛ إلا أنّه وبعدما استكمل دراساته المنهجية، تجنّب عن توظيف النظرية وتعميمها، متعمداً وشيئاً فشيئاً، وذلك رغم مهارته فيها، ويقرّ في الوقت نفسه، بقوى وأدوات تعمل كدوالّ في الحياة الاجتماعية وانتهى به الأمر إلى أنه رأى في نهايات عام ١٩٣٠م جهود علماء اجتماع لا يفكّرون إلا في خلق النظريات الاجتماعية فاشلة، ولم تكن منهجيته، ولو في «النحاس الملكي» -وهو أكثر أعماله ابتناءاً على النظرية،- مبنية على النظرية اعتماداً شاملاً. تعلّم بلوخ من دوركيم أهمية الفهم والمعرفة والضمير الجمعي فضلاً عن المعتقدات المبتنية على النظرية؛ ولكنه يرى نظريته ناقصة، فلم يجعل بحثه منصة لاختبار صحة نظرية دوركيم، ويعتقد بضرورة عرض نظريته للنظر الأكثر فيه؛ حيث «يستخلص منها نظرية أفضل في مجال الدين والسحر أو الكاريزما» (اسكاتشبول، ١٣٨٨ش: ٥٩).

لم يبادر بلوخ في أوسع أعماله نطاقاً، وهو «المجتمع الإقطاعي»، بخلق أو تصوير أيّ نظرية كبيرة؛ بل اطمئنّ إلى فائدة منهجيته المقارنة، ولم يكن نقطة انطلاقه نظرية خاصة» (اسميث، ١٣٨٦: ٧٨). استخدم بلوخ ، وبعدما هدّأ من روعته الأولية، النظرية بصفتها أداة لاختبار المستندات، ولم يجعله غاية منهجيته وبؤرته؛ بل كانت أفكاره ونماذجه النظرية، نماذج منفتحة ومرنة وواهنة، سرعان ما تتحطّم، ولا يتاح لها بالتحوّل إلى نظرية كبيرة. وقال عند الحديث عن أهمّ مميّزات منهجيته النظرية التي تمسّك بها المفكرون من أنصار مدرسة الحوليات بعده: «إنّ كلّ أصل واحد وعنصر منسّق واحد مرفوض، وليس للطبقة الاجتماعية والمكافحات الناشئة عنها، ولا للجغرافيا ولا لعلم النفس الجمعي، ولا للنماذج العائلية

والتقنية ولا للأحداث السياسية، أن تستبدل بها العناصر الأخرى، وتجعلها غير نافذة، بل لجميع العناصر دورها في تكوين الحضارات وتطوّرها» (اسكاتشبول: ١٣٨٨،٦٢).

٥ .النتائج

كانت أول خطوات بصدد التقارب بين التاريخ وعلم اللاجتماع، لعلماء اجتماع كماركس ودوركيم ووبر. وظهر هذا التواصل فعلاً بمساعي مفكرين من أنصار مدرسة الحوليات في علم التأريخ، وبرز من بينها منهجية مارك بلوخ؛ حيث بدأ بنقد التأريخ الذي عاصره، ثمّ أبدع منهجية باتجاهه في الاقتباس المشروط من العلوم الأخرى، تمسّك بها عدد كبير من الباحثين في مجال التاريخ. وكان ظهور نظرية واسعة النطاق كهذه من مؤرّخ، خطوة بديعة ومثيرة ومحطّمة للمعايير، قدّم بلئخ منهجية التأريخ المقارن، لمّا كان علم التأريخ متورّطاً في منهج رانكه التقليدي الأحادي البعد والسردي، أو مسحوراً بالمنهجية الوضعية عند إغوست كنت. لم تكن البحوث التاريخية من وجهة نظر بلوخ، التحوّل في المستندات التاريخية أو الاعتبار من الماضي، بل كان التأريخ عنده علم التطوّر والتغيير. كان بلوخ أوّل من اكتشف السرّ الرئيسي لهزيمة فرنسا في مواجهة الآلمانيين، بشهر بعد الاحتلال، بصفته مؤرّخاً متخصصاً في تطوّر المجتمعات، ولا كضابط متمرّس في الجيش. كان بلوخ يستفيد من أعمال علماء الاجتماع استفادة مشروطة ومحدّدة، وعلى الرغم من ذلك لم يرغب أن يكون أعماله اختباراً لنظريات علم الاجتماع، ولم يتتبّع قوانين عالمية. لا تخلو منهجية بلوخ من الإشكال، ويعاب عليها بنقاط كمنهجيته المقارنة أو إغفاله المفرط عن أهمية الروايات التاريخية ويستحقّ النقد والتعديل؛ إلا أنّ منهجيته في تلك الفترة من التاريخ، خلّص علم التأريخ في عصره من التورّط في اليأس والشعور بعدم الفائدة والنزوع إلى الوضعية، كما علّمت علماء الاجتماع الأسلوب الصحيح للدراسة والبحث والاستمداد الصحيح من التاريخ. أثبت بلوخ أنّه لا يريد أن يكون مؤرّخاً سياسياً فحسب، ليقضي عمره في التسكّع وراء العثور على مستندات سياسية أو يكتب تاريخاً منحازاً للدولة أو الأكاذيب. يمكن للباحثين في التاريخ أن يقدّموا تاريخاً أشدّ صلة بالعلم وبالقيم الإنسانية، من خلال التعرّف على منهجية بلوخ ومراجعة بحوثه التي تستحق المدح والتمسك بها، رغم اتصافها بما يبرّر عرضها للنقد والتعديل.

المراجع

١. آبركرامبی، نیکلاس و دیگران، (١٣٧٦ش)، ***فرهنگ جامعه‌شناسی***، ترجمه: حسن پویان، تهران: چاپخش، چاپ اول.

٢. اسکاچپول، تدا، (١٣٨٨ش)، ***بینش و روش درجامعه‌شناسی تاریخی***، ترجمه: هاشم آقاجری، تهران: نشرمرکز، چاپ اول.

٣. اسمیت، دنیس، (١٣٨٦ش)، ***برآمدن جامعه‌شناسی تاریخی***، ترجمه: هاشم آقاجری، تهران: مروارید، چاپ اول.

٤. برک، پیتر، (١٣٨١ش)، ***تاریخ و نظریه اجتماعی***: ترجمه غلامرضا جمشیدیها، تهران: دانشگاه تهران.

٥. برودل، فرنان، (١٣٧٢ش)، **سرمایه داری و حیات مادی ١٨٠٠-١٤٠٠**، ترجمه: بهزاد باشی، مقدمه پرویز پیران، تهران: نشر نی.

٦. بلوخ، مارک، (١٣٦٣ش)، ***جامعه فئودالی***، ترجمه: بهزاد باشی، تهران: آگاه.

٧. بهرامی، روح الله، (١٣٨٦ش)، ***مکتب آنال جامعیت فکر تاریخی***، شیراز: نوید.

٨. فولادوند، حامد، (١٣٦٥ش)، ***مکتب آنال در تاریخ‌نگاری فرانسه، مجموعه بینش و روش در تاریخ‌نگاری معاصر***، منصوره نظام مافی و حامد فولادوند، تهران: انتشارات تاریخ ایران.

٩. لیتل، دانیل، (١٣٨٥ش)، ***تبیین در علوم اجتماعی***، ترجمه: عبدالکریم سروش، تهران: صراط.

١٠. همیلتون، گری جی، کولینز، رندال و دیگران، (١٣٨٧ش)، ***تاریخ‌نگاری و جامعه‌شناسی تاریخی***، ترجمه: هاشم آقاجری، تهران: کویر.

١١. هیوز- وارینگتن، مارنی، (١٣٨٦ش)، **پنجاه متفکر کلیدی در زمینه تاریخ**، ترجمه محمدرضا بدیعی، تهران، امیرکبیر.

[12] Aymard, Maurice, (1999). 'The Annales and French Historiography', (1929-72) in Sturt Clark(ed) .*The Annales School Critical Assesments* , London, Routledge, Vol. I, Pp. 3-23.

[13] Bentley, Michael, (2005). *Modern Historiography*, London, Routledge.

[14] Bloch, Marc, (1928), Pour une Histoire CompareE des SocietesEuropeennes, *Revue de synthesehistoryque*, XLVI, Pp. 15-50.

[15] Bloch, Marc, (1949). *Srange Defeat*, A Statement of Evidence Written in 1940. Oxford, Oxford University Press.

[16]. Bloch, Marc, (1954). *The Historians Craft*, Translated by Peter Putman, Manchester, Manchester University Press.

[17] Bloch, Marc, (1961). *Feudal Society***,** Translated by L. A. Manyon, London, Routledge.

[18] Bloch, Marc, (1966). *French Rural History*, An Essay on its Basic Characteristics, Translated by J. Sondheimer, Berkeley, University of California Press.

[19] Bloch, Marc, (1966). *The Royal Touch*, Sacred Monarchy and Scrofula in England and French, Translated by J.E. Anderson, London, Routledge.

[20] Dosse, F., (1994). *New History in France: The Triumph of the Annales*. Translated by Conroy P. V., (2nd ed.). Chicago: University of Illinois Press.

[21] Hill, Alette, O. Jr. Boyd, H., (1980), *Marc Bloch and Comparative History***,** *The American Historical Review,* LXXXV/4, PP. 828-857.

[22] Loyn, H., (1999). "Marc Bloch". In Clark, C. (ed.). Febvre, Bloch and other Annales Historians. *The Annales School*. IV. London: Routledge. pp. 162–176.
[23] Lyon, B., (1987). "Marc Bloch: Historian". *French Historical Studies*. 15: 195–207.
[24].Munslow, Alun, (2006), *The Routledge Companion To Historical Studies*, London, Routledge.
[25] Rafits, J. Ambrose, (1999). 'March Blochs Comparative Method and Rural History of Mediaeval England' in Sturt Clark (ed). *The Annales School Critical Assesments,* London, Routledge, vol.IV, pp. 63-79.
[26] Rhodes, R. Colbert, (1999). 'Emil Durkhaim and Historical Thought March Bloch', in Sturt Clark(ed). *The Annales School Critical Assesments*, London, Routledge, vol. IV, pp. 110-137.
[27] Sewell, Jr. William. H., (1967). 'Marc Bloch and the Logic of Comparative History', *History and Theory,* VI/2.PP. 208-211.
[28] Vaught, D., (2011). 'Abner Doubleday, Marc Bloch, and the Cultural Significance of Baseball in Rural America'. *Agricultural History*. 85: 1–20.

References

[1] Abercrombie, Nicholas et al., (1997). *Sociological Culture*, translated by Hassan Pouyan, Tehran, Chapakhsh, first edition.
[2] Aymard, Maurice, (1999). *The Annales and French Historiography,* (1929-72) in Sturt Clark(ed).The Annales School Critical Assesments , London, Routledge, Vol. I, Pp. 3-23.
[3] Bahrami, Ruhollah, (2007). *Anal School of Comprehensive Historical Thought*, Shiraz, Navid.
[4] Berg, Peter, (2002). *History and Social Theory*, translated by Gholamreza Jamshidiha, Tehran, University of Tehran.
[5] Bentley, Michael, (2005). *Modern Historiography*, London, Routledge.
[6] Bloch, Marc, (1363). *Feudal Society,* Translated by BehzadBashi, Tehran, Agah.
[7] Bloch, Marc, (1961). *Feudal Society*, Translated by L.A.Manyon, London, Routledge.
[8] Bloch, Marc, (1966). *French Rural History*, An Essay on its Basic Characteristics, Translated by J.Sondheimer, Berkeley, University of California Press.
[9] Bloch, Marc, (1928). *Pour une Histoire CompareE des SocietesEuropeennes, Revue de synthesehistoryque*, XLVI, PP. 15-50.
[10] Bloch, Marc, (1949). *Srange Defeat,* A Statement of Evidence Written in

1940. Oxford, Oxford University Press.
[11] Bloch, Marc, (1954). *The Historians Craft*, Translated by Peter Putman, Manchester, Manchester University Press.
[12] Bloch, Marc, (1966). *The Royal Touch*, Sacred Monarchy and Scrofula in England and French, Translated by J.E. Anderson, London, Routledge.
[13] Brodel, Fernan, (1372). *Capitalism and Material Life 1800-1400*, translated by BehzadBashi, Introduction by ParvizPiran, Tehran, Ney Publishing.
[14] Dosse, F. (1994). *New History in France: The Triumph of the Annales*. Translated by Conroy P. V. (2nd ed.). Chicago: University of Illinois Press.
[15] Fooladvand, Hamed, (1986). *"Anal School in French Historiography",* Collection of Insights and Methods in Contemporary Historiography, Mansoureh NezamMafi and Hamed Fooladvand, Tehran, History of Iran Publications.
[16] Hamilton, Gary G., Collins, Randall and others, (2008), *Historiography and Historical Sociology*, translated by Hashem Aghajari, Tehran, Kavir, second edition.
[17] Hill, Alette, O. Jr. Boyd, H., (1980). *Marc Bloch and Comparative History*, The American Historical Review, LXXXV/4, PP. 828-857.
[18] Hughes-Warrington, Marnie, (2007). *Fifty top Thinkers in History*, translated by Mohammad Reza Badiei, Tehran, Amirkabir, first edition.
[19] Little, Daniel, (2006). *Explanation in Social Sciences,* translated by Abdolkarim Soroush, Tehran, Serat.
[20] Loyn, H., (1999). "Marc Bloch". In Clark, C., (ed.). Febvre, Bloch and other Annales Historians. *The Annales School*. IV. London: Routledge. pp. 162–176.
[21] Lyon, B. (1987). "Marc Bloch: Historian". *French Historical Studies.* 15: 195–207.
[22] Munslow, Alun, (2006), *The Routledge Companion To Historical Studies, London*, Routledge.
[23] Rafits, J. Ambrose, (1999). 'March Blochs Comparative Method and Rural History of Mediaeval Englan' in Sturt Clark (ed). *The Annales School Critical Assesments,* London, Routledge, vol.IV, pp. 63-79.
[24] Rhodes, R. Colbert, (1999). 'Emil Durkhaim and Historical Thought March Bloch', in Sturt Clark(ed). *The Annales School Critical Assesments*, London, Routledge, vol. IV, pp. 110-137.
[25] Scotchpool, Teda, (2009). *Insights and Methods in Historical Sociology*, translated by Hashem Aghajari, Tehran, Markaz Publishing, First Edition.
[26] Sewell, Jr. William. H., (1967), 'Marc Bloch and the Logic of Comparative

History', *History and Theory*, VI/2.PP. 208-211.
[27] Smith, Dennis, (2007). *The Rise of Historical Sociology*, Translated by Hashem Aghajari, Tehran, Morvarid, first edition.
[28] Vaught, D., (2011). 'Abner Doubleday, Marc Bloch, and the Cultural Significance of Baseball in Rural America'. *Agricultural History*. 85: 1–20.

From Narrative-Based History to Historical Sociology: Explaining the Methodology of Mark Bloch

Vahid Baseri[1*], **Mohamad HassanBeigi**[2]

1. Assistant Professor, Faculty of Theology, Farhangian University, Tehran, Iran
2. Assistant Professor, Faculty Member of the Department of History, University Arak, Arak, Iran

Abstract

Historiography throughout the nineteenth century was influenced by the two paradigms of Leopold von Ranke's "narrative" and Auguste Comte's "positivism." From his birth, Comte's sociology took the path of separation from history. Marx, Weber, and Durkheim descended from the ivory tower of positivism and began the first convergent steps by questioning history. Marc Bloch pioneered this convergence, and his efforts and those of anal historians at the beginning of the twentieth century had a clear impact on the formation of new knowledge of historical sociology. This contemporary knowledge is not well-known and the dialogue of sociologists and historians, according to Fernand Braudel, remained the conversation of the deaf. On the other hand, the excitement of some historians in turning to sociological theories and their misuse caused them to distance themselves from the principles of historiography. The main question of this research is: What are the components of Mark Bloch's methodology in historiography? How can this methodology be used by historians? The findings of this study show:1- "Critique of narrative-oriented historiography and influenced by positivism", 2- "Extensive but conditional receipt of other knowledge" and 3- Presenting a "comparative history" forms the main components of Bloch's approach, which historians can present a more scientific and humane history by being aware of these components and examples of Bloch's research.

Keywords: Marc Bloch; Methodology; Historical Sociology; Narrative-Based History; Comparative History.

* Corresponding Author's E-mail: vahid.ba55@yahoo.com

از تاریخ روایت‌محور تا جامعه‌شناسی تاریخی: تبیین روش‌شناسی مارک بلوخ

وحید باصری[۱*]، محمد حسن‌بیگی[۲]

۱. استادیار و عضو هیات علمی معارف اسلامی دانشگاه فرهنگیان
۲. استادیار و عضو هیات علمی گروه تاریخ دانشگاه اراک

چکیده

تاریخ نگاری در سراسر قرن نوزدهم تحت تاثیر دو پارادایم «روایت‌محورِ» فون رانکه و «اثبات گرایی» اگوست کنت قرار داشت. جامعه شناسی کنتی از بدو تولدش راه جدایی از تاریخ را در پیش گرفته بود. مارکس، وبر و دورکیم با فرود از برج عاج پوزیتیویسم، نخستین گام های همگرایانه را با پرسش از تاریخ شروع کردند. در میان مورخان، مارک بلوخ پیشگام این همگرایی شد و تلاشهای او و تاریخ نگاران مکتب آنال در آغاز قرن بیستم، تاثیر آشکاری در شکل گیری معرفت جدید جامعه‌شناسی تاریخی برجای گذاشت. این معرفت معاصر چندان شناخته شده نیست و گفت‌وگوی جامعه شناسان و مورخان به محاوره ناشنوایان می ماند. از طرفی هیجان برخی مورخان در روی آوردن به نظریه‌های جامعه‌شناسی و استفاده نادرست از آن، سبب فاصله گرفتن از اصول تاریخ‌نگاری شده است. پرسش اصلی این تحقیق این چنین مطرح می شود: روش شناسی مارک بلوخ در تاریخ نگاری بر چه مولفه‌هایی بناشده است و چگونه می تواند مورد استفاده مورخان قرار گیرد؟ یافته‌های این تحقیق نشان می دهد «نقد تاریخ نگاری روایت محور و متاثر از پوزیتیویسم»، «دریافت گسترده اما مشروط از معرفت های دیگر» و ارایه «تاریخ تطبیقی» مولفه‌های اصلی رهیافت بلوخ را شکل می دهند، که مورخان می‌توانند با آگاهی از این مولفه‌ها و نمونه‌های تحقیقات بلوخ، تاریخی علمی‌تر و انسانی‌تر ارایه دهند.

کلمات کلیدی: مارک بلوخ، متدولوژی، جامعه شناسی تاریخی، تاریخ روایت‌محور، تاریخ تطبیقی

* نویسنده مسئول مقاله: E-mail: vahid.ba55@yahoo.com